خاطفون ومخطوفون

فيديل سبيتي

يستدعي الكلام على المخطوفين اللبنانيين إبان الحروب اللبنانية المديدة والمتناسلة أمرين، أولهما أن هؤلاء لا يزالون مخطوفين ولم تُعرف لهم أرض، ولم تدر قضيتهم وقضية أهاليهم في معجن القضايا اللبنانية الكثيرة التي نتجت من تلك الحروب. السلطات المتعاقبة منذ بدء زمن السلم المفترض بعد الطائف، تعاملت مع المخطوفين على انهم النتيجة الأكثر "شبحية" للحرب. فالمخطوف ميت... والسلام.

ثاني الامرين، عرض فيلم المخرج بهيج حجيج "مخطوفون"، الاسبوع الماضي، في "هنغار أمم"، في إطار مشروع "لبنان وذاكرته حمّالة الحروب". الفيلم المنتج عام 1998 يحاور اهالي المخطوفين وأبناءهم ويدلل على انه في العشر سنين التي مرت من بعده لم يتغير أي شيء في قضية المخطوفين. وحده الامل لا يزال معششا في قلوب الاهالي والاقارب، منتظرين عودة أبنائهم وأزواجهم.

الخطف، كما يَظهر الفيلم، يضع منتظر المخطوف في حال ملتبسة ومشوشة من المشاعر، فلا هو يمكنه الاستكانة الى فكرة موته ولا البقاء منتظرا في ظل غياب تام لأي مساعدة او معلومات تسهّل العثور على المخطوف حياً أكان ام جثة.

معظم أهالي المخطوفين الذين تحدث اليهم المخرج رفضوا الاعتراف بموت مخطوفيهم، وحتى لو ترتبت على الأمر تسهيلات قانونية كثيرة في ما يتعلق بالإرث والزواج وغيرهما. تقول الام التي خطف ابنها عام 1984 بينما كان ذاهبا لإحضار ربطة خبز:"لا يمكن الام ان توفّي إبنها".

الابن الذي يعترف ان اختطاف والده أحلّ فيه مشكلات نفسية لن يتمكن اي طبيب من فك عقدها، يقول انه لم يهاجر الى كندا لأنه لا يتمكن من ترك لبنان بينما هو ينتظر عودته في كل لحظة. يخاف أن يَعاد والده بعد عشرين عاما من الخطف فيما يكون هو في كندا.

يجب الا يكون التهرب من دور اللبنانيين في ما ارتكبوه، بعضهم في حق البعض، خلال حروبهم المديدة، سببا للتهرب من قضية ما يزيد على 17 ألف مخطوف لبناني في لبنان. لا يمكن الانتهاء من ذاكرة الحرب بواسطة فقدان الذاكرة. ففقدان الذاكرة هذا هو الذي لا يني يؤسس لحروب جديدة لا تكف طبولها عن القرع. القفز عن نتائج الحروب لا يكفي لإمرارها. الحروب التي نشبت بين اللبنانيين لن تمر بلا تنظيفها. الحرب بقرة في مسلخ لا تخرج الى الاستهلاك الا بعد السلخ. لذا يجب ان تدخل الذاكرة الحربية في صلب الثقافة الشعبية واليومية للبنانيين، فيصير موضوع كالمخطوفين يخص جميع اللبنانيين، الخاطفين وأهاليهم والمخطوفين وأهاليهم، والآخرين الذي كانوا مشروع مخطوفين، أي كل اللبنانيين.

لا تكفي شهادة الوفاة كي نتناسى. فنحن الخاطفين ونحن المخطوفين، وعلينا ان نعترف بذلك ■

النهار، ٣ أيار ٢٠٠٩، صفحة ٣